فصول الحياة

دار خيال للنشر والترجمة ©
تجزئة 53 قطعة. رقم 27. بليمور
برج بوعريريج – الجزائر-
0668779826
Khayaleditions@gmail.com
ردمك :978-9931-06-353-7
الإيداع القانوني : السداسي الأول 2021.

فافة برّحال

فصول الحياة

نصوص

شكر وعرفان

بعد بسم الله الرحمان الرحيم وشكره وحمده جل جلاله على توفيقنا لوصول كتابنا إلى أيادٍ ذهبية جعلت من كتابنا محط أنظارها.

أهدي عملي هذا إلى روح والدي المخلدة فهذا الكتاب هو تذكار سعيه إلى الوصول إلى ما أنا عليه الآن.

إهداء إلى والدتي الكريمة مَن الجنة تحت أقدامها وإلى الحضن الذي أجده في الأوقات التي لم أستطع التعامل معها فهم عائلتي خاصة إلى ضلعي الثابت الذي لا يميل... أختي.

أهدي هذا الكتاب إلى صديقتي اللتان ساهمتا فيه فهما آمنتا بي.

وفي الأخير أقول هذا الكتاب ليس سوى بذرة نجاح وتشجيع كل شخص قريب لي...

فالشكر والعرفان إلى كل من كانت له صلة بي من قريب أو بعيد.

مقدمة

يقولون أن المقدمات تمهيد لكل شيء فمنها يُعرف الموضوع حتى تحسم الأمور.

لكن يا عزيزي القارئ (ة) سأرجو منك تصفح الكتاب لأن المقدمات أحيانا إما تكون غير ملمة أو لا يحسن الكاتب من خلالها إيصال أي فكرة.

إني أرجو بكل كلمة فخر واعتزاز أن ترجعوا الكتاب إلى مكانه إن كنتم ستحكمون عليه من عنوانه أو غلافه كأي كتاب عاينتموه سطحيا أو مرت عليه أعينكم.

فهذا الكتاب ليس كغيره من الكتب فكل صفحة منه قصة حقيقية عايشتها مع أصحابها وتقاسمتها معهم فما كان بوسعي سوى حمل قلمي لأسيل حبره في سبيل خط تلك العبارات التي لم تكن سوى للتقليل أو التعبير عن كل شخص أرهقته أحزان هذه الدنيا فجعلت كتابي هذا الذي بين أيديكم مجرد بصيص أمل لقصص روتها صفحات هذا الكتاب وشهدت عليها عيناي بدموع ذرفتها وخطتها يداي فرجفت حين رفعت قلمي.

دروس في العزف

لقد لعبنا على أوتار ومقامات، لكن الحياة وترها يصعب تعلمه.

فالحياة مدرسة لا يتعلم منها إلا الذي تلقن دروسًا على أيادي معلمين أتقنوا الأوتار جيدا، فهي لحن إذا لم نتقن العزف عليها، يجب أن نمنح العزف لأصابع غيرنا ونكون نحن المستمعين.

.لقد علمتنا كثيرًا!!

. نعم! لقد علمتنا الحياة ألا نتعلق بشيء فكلنا ذاهبون لقد علمتنا إن أحببنا أن نحب بصمت، فلا داعي للجنون! ولا نتحدث عن كرهنا للبعض فربما بداخلهم حب في القلب يخفونه...

.فما الحياة سوى قطار الكل مغادر منه.

فأجمل ما في هندسة الحياة هو أن نبني جسرا من التواصل الذي لطالما سرقته منا، لكنها حتما لن تجعلنا ننسى من نحب، فأجمل شيء في الحياة حينما ترتسم أمامي أسماء عزيزة قلوبهم مثل اللؤلؤ المكنون، قلوب تحمل الحب، المعزة والتقدير، قلوب صافية رقيقة.

. الحياة رائعة إذا كان كل إنسان يحمل تلك الزمرة التي تتغذى بالصفات الجميلة.

فليس المهم أن نكون منتصرين في هذه الحياة، المهم أن نجد السلام الداخلي، فليس بإمكاننا أن نمنح الحب للآخرين ما دمنا لا نحب ذاتنا.

تملكنا اليأس!!

ناظرت البحر وناظرني، وسألني:

.ماذا يشغل بالك؟؟

فكانت إجابتي والعبرة تحنقني، والدمعة أغرقت قلبي:

. إن كثرة الصدمات التي تلقيتها جعلت قلبي مسكنا للحزن، ولم أعد أستطيع البكاء لأن أحزاني كثرت، فجعلت حروفي ناطقة ومشاعري ذابلة تحكي تلك الآلام والخذلان الذين دفعوني إلى اليأس.

فلقد تحملت الكثير من الهموم والعناء وزادت آلامي وجروحي، حيث أصبحت من البؤساء.

.لقد همس الأمل في ضجيج اليأس:

أنا ظلك، فلقد نقشت على القلوب المجروحة تلك العبارات اليائسة والحزينة.

.صار عاديا أن نسمع صوتا حزينا!!

.وعاديا أكثر لو سمعنا عن انتحار!!

اليأس تمكن من قلوب الملايين، والأمل في قلوب البشر احتار !!

لحد الآن، قلوب اليائسين لم تجد شواطئ لتتلذذ بالمكوث فيها بعد كل رحلة إبحار في هموم الحياة، فلقد وصلنا إلى

مرحلة في الحياة حيث أصبحنا لا نعطي فرصة ثانية لأي شخص، لأننا يأسنا من الأكاذيب والخداع.

فلم أندم على سكوتي أبدا، لكنهم جعلوني نادمة على تكرار الكلام الذي اختلط بالحسرة، فتعلمت أن من الجمال ألا نبوح بمشاعرنا التي اعتبرها الناس وسيلة لجعلي أعايش اليأس وأصير أسيرته.

.فما أجمل الكتمان!!

فالكتمان لغة أنيقة لمحاربة اليأس وطمس تلك الأكاذيب، فأصبح الكلام بالنسبة لي كالتراب تأتي رياح لتزيحه، فالكتمان جعلني أعشق الهدوء لأنه يأخذني لدنيا أعيشها بمفردي.

أعتذر لك!

.أعتذر!!

.أعتذر عن تقصيري لك، ويا أسفي على الذين اهتممت بهم ونسيتك.

أعتذر، وأرسل لك مع الشوق عذري!!

أنا مقصرة والظروف أجبرتني، والله لم أهملك لكن الحياة كلها أتعبتني.

.أعتذر يا نفسي!!

أعتذر، لأنني عشقت الحزن وحملته شطرا من حياتي وعشقت البكاء لأني أنفس به عن آلامي، وعشقت الآهات لأنها تطفئ حرقة أناملي، أنا من عشت الجراح لأنها أصبحت قطعة أرقع بها ثغور ثيابي، وعشقت الصمت في لحظة الألم لأنها تحفظ لي كبريائي.

فأعتذر يا نفسي، لأنني أبعدت السعادة عنك وأسعدت غيري.

.أعتذر يا نفسي!!

أعتذر لأنني لازمت اليأس في محنتي ومكابرتي... رغم مرارتي وآلامي أقول: إنني أسعد إنسانة.

فلقد كانت سعادتي الوهمية تقتلني في صمتي... وتغذيني في ليلي دون إحساس الآخرين بي.

فأعتذر يا نفسي، حين جعلتك تغادرين الأمل وبدون استئذان.

.أعتذر لك، لأنني جعلتك تلازمين الحزن واليأس، فقلبك جرعته الألم في لحظات عديدة.

.أعتذر يا نفسي!!

أعتذر لك عما بقي من الجروح التي سببتها لك.

رحيلهم عنا!!

استطعنا أن نخفي أحزاننا وشلالات دموعنا، لكن لم يكن باستطاعتنا أن نخفي الفقدان والحنين لأشخاص خطفهم الموت وصاروا تحت التراب.

فلا شيء موجع أكثر من أننا ندفن أرواحًا كانت تعيش معنا، أسرتنا بحبها ودفئها.

فلطالما ظلوا يواسوننا حين فقدنا ذوق الحياة، فالغياب أصبح طويلا جعلنا ندمن النظر لصورهم خلال ساعات يومنا، فابتعادهم كالرصاص أنهانا من الوجود وكأننا لم نكن، فقد كانوا يرتبون كل شيء في حياتنا حتى قلوبنا يعرفون عدد نبضاتها وكيف يجعلونها تهدأ.

.فكلما كبرت أخافتني فكرة الفقد، لكن فقدتهم!!

فقدانهم جعل الأرض ضيقة علينا ولم تتسع السماء لنا، فذكراهم تفرحنا لكنها تعذبنا دائما، فتهالكت أعمارنا ونحن نجدد صورهم وأحاديثهم في عقولنا.

فالحياة لم تعد تغرينا كثيرا فكل ما نريده هو ملاقاتهم. فلقد أجبرنا شوقهم على قضاء الليل في صندوق الذكريات نقلب كل ما هو جميل معهم.

لم يكن من الضروري أن نحادثهم دوما!! لكن وجودهم بالقرب منا وحده يكفي بأن نظل سعداء.

.وجودهم يعني اطمئناننا.

.وجوهم راحة وأمان لنا.

فلو علمنا أنها المرة الأخيرة التي نحادثهم فيها، لما أغلقنا أعيننا أمام أعينهم.

فقر أثقل كاهلنا

هو تلك الكلمة الصغيرة، المكونة من أحرف قليلة لكن كل حرف يحمل في طياته معاني، فكل حرف يحمل آمالا محطمة لأشخاص كان قدرهم التخلي عن أحلامهم.

.فقر!!

فقر، جعل أغلبية الناس ترى كل حلم بنوه يتحطم أمامهم، فالفقير دائما يحاول التخلص من كل تلك الحبال التي تشده للوراء لكنه يفاجأ من الصفعات التي تأتي أمامه.

لكنه قدره!!

قدره كتب عليه أن يغيم الحزن فوقه، فالفقر أرّق حياة البعض فجعل التعاسة لا تفارقهم والدنيا تقف ضدهم.

الفقير شخص عظيم لثباته كي يكافح مرارة الحياة الضنكة التي كتبت له هذا المصير.

فكم من عظيم تمكن منه الفقر ليجعله متشردًا يلامس الحرارة بوجهه البائس وهاربًا من المطر بتلك الملابس الممزقة والمهترئة، وكم من مريض يصارع الحياة فالفقر جعل المرض ينهش جسده النحيف، وكم من فقير تجرد من كرامته وكبريائه في سبيل توفير تلك إمكانيات حتى ولو كانت بسيطة لعائلته.

فالفقير يستحق كل التكريم، لأنه ظل شامخا رغم تلك العواصف التي تجاوزها بصموده ولم تزعزع كيانه، فالفقير قدم دروسا في كل المجالات بإثباته لنفسه ووجوده في مجتمع يهتم بالمظاهر والمناصب.

نبذوني؟؟

أنا الذي ماتت أعضاؤه وجفّ ينبوع دمه، أنا الذي تحولت جنات حياتي إلى مقابر دموعي.

أنا تلك البراءة التي تركتموها في الشارع تصارع لوحدها وتتعرض للشتم والسبّ، نادوني بأبشع الألفاظ ووصفوني بأقبح الصفات.

.لماذا تركتموني؟؟

لماذا تركتموني أجابه الحياة بجسد محروم من كل شيء حتى أبسط الأشياء؟؟

حرمتموني من مناداتكم بسبب فقدانكم لروح المسؤولية، وطغيان الأنانية على عقولكم، تركتموني تحت الظلام الذي احتضنني وتحت النجوم التي حرستني ولم تفكروا في مصيري.

.ما كان ذنبي!!

ما ذنبي إذا كان والداي لم يحملا ذرة رحمة حتى تركا فلذة كبدهما في العراء.

.أ أصرخ!!

أ أصرخ بأنني ذلك الطفل اليتيم الذي حرم من العيش وسط دفء العائلة، وحكم عليه القدر بأن يعيش وحيدا ليحصد ثمار جريمة والديه.

. فكونوا شاهدين على أنني ذلك الطفل اليتيم، أو كما سموني بالمجهول، أنني واجهت الحياة لوحدي وقضيت أصعب اللحظات بمفردي وانتصرت عليها بكل شجاعة، لم أعرف ملعقة الذهب أبدا بل عرفت أشواك الحرمان الخذلان والخيبات، ولم يقف معي أحد في أحلك ظروفي وأسوء أيامي، صرت تلك الشجرة الشامخة التي تورف الظلال.

.فلا امتنان لأحد!!

قوارب الموت

لقد حملت حقائبي و كلي آمال في ازدهار أيامي التي كانت مجرد ساعات تمر بدون هدف معين، جررت معي تلك الأحلام التي ظننت أنني سأحققها في موطني الأم، لكني صدمت بجدار البيروقراطية والتهميش.

تركت والدتي وكلها حزن عل مفارقتي، ودعواتها التي رددتها في صلاتها ليحرصني الرحمان من كل مكروه.

.أنا متأسف يا أماه!!

أنا متأسف لأنني جعلتك تنتظرين عودتي كل يوم، فأنا ظننت أن تلك القوارب نجاتي من سجن الظلم وسبيلي إلى الحرية، وطريقي إلى عالم المال والبذخ، توهمت بأن تكون راية النصر والنجاح في بلد مختلف عن مكان نشأتي، وأن يحتضنني ويحتضن تلك الأهداف التي رسمتها حيث كان مقر دفنها هو بلدي الأم.

فأنا شددت الرحال وركبت القارب وكأنني سقيت من كأس الأمل الذي تغلغل داخل جسدي لينعشه بعدما كان مجرد جسد من دون روح لكثرة الخيبات التي تعرض لها فأنا خططت لكل شيء من اللحظة التي وطئت قدماي فيها تلك الأرض الغريبة حتى بلوغي قمم المجد والانتصار.

فلما تحرك القارب جعل الفوز يلامس روحي المحطمة فدفعني للصراخ بأعلى صوتي:

.لقد بلغت مرادي يا أماه!!

فسأصبح أكثر إصرارا وعزما بعدما نال مني التعب والإرهاق وعجزت عن تحقيق أشياء جعلوا منها مستحيلة حتى تلك الشهادات لم تصبح لها أهمية في البحث عن العمل وأصبح المال سيدهم، لقد أذاقونا من كأس الذل والحرمان، ألبسونا ثوب الفقر والعار، وإلى الموت رمونا.

.لا تحزني يا أماه!!

ابنك ظن الحياة في تلك القوارب لكنه فوجئ بغرق أحلامه مع قارب الموت.

. ارفعي رأسك يا أماه، فأنا توفيت وبكل سعادة لأن المنية أتتني وأنا أصارع الحياة للتغلب عليها، أنا لم ألبس الحرير ولم يكن غذائي وشربي من الذهب، أنا كافحت حتى للدقيقة الأخيرة من وفاتي.

. لا تحزني يا أماه! كوني فخورة بي لأنني سأكتب شهيدا بمحاربتي لدولة فرضّت على شبابها الفقر والتسوّل.

غرباء

نحن تلك الفئة التي تحس العالم كله يقف ضدها فضوضاء تملأ عقولنا والتي جعلت التعب يسيطر على أرواحنا وكأننا توائم للحظ التعيس بعدما صدت كل الأبواب في وجوهنا، حتى أولئك الذين يشبهوننا أصبحوا بعيدين عنا وصرنا لا نشبه أحدا، وكأننا انسللنا من حبات اللؤلؤ التي تتواجد في ذلك العقد المزين، فارتطمنا بالأرض وتقشرت أرواحنا وصرنا بدون ألوان.

حكم علينا بالسجن وحراسه جنود أشاوس، يقفون أمام أفعالنا، ويترصّدون كلماتنا التي تخرج من أفواه قلوبنا الطاهرة فيقشرونها هي الأخرى حتى تصل إلى آذان مغطاة بروحهم الدنسّة.

جعلونا مندهشين من تلك الكلمات التي ظننا أنها ستبلغ مرادنا لأننا انتقينا تلك الحروف بعناية والتي لم ننطقها حتى ألبسناها تلك الأوشحة الأنيقة الناعمة التي تليق بآذان ولا تؤذيها.

لكننا انصدمنا بتزييفها ليجعلونا محّطة للشبهات في نظرهم ونظر المجتمع، فظللنا صامتين ولم نفسر بتلك الكلمات التوضيحية.

فهي مجرد كلمات في نظرهم لا تستحق السمع، لذلك جعلونا نكتسي لباس الذل وتقبلنا الهزيمة لأننا خفنا من إعادة ذلك المشهد المزيف الذي تم تمثيله أمام أعيننا لنكون نحن أبطاله وهم كتاب ذلك السيناريو الذي تم تزويره بمعتقداتهم الكاذبة، ليتم عرضه على ملأ اهتموا بالكلام فقط ونسوا الدلائل.

لا تلمني على عتابي لك!

.أعاتبك!!

نعم أعاتبك، أ تدري لماذا؟؟

.لأنني أفتقدك كثيرا!!

لكن هذه المرة الأخيرة التي سأكتب فيها لك حتى أتخلص من الاحتراق الذي بداخلي من كثرة شوقي لك، كان انتظارك في كل مرة يحرقني أكثر من التي سبقتها ورغم ذلك انتظرتك.

كنت أشعر بالحزن لأن شيئا داخلي انطفأ نحوك، لم تعد الجميل الذي أحببته ولم يعد بمقدوري الوثوق بك مرة أخرى.

كنت أسعى للحفاظ على صورتك في ذهني، ولم أستطع رغما عني، لأنك جعلت ما بيننا لا ينسى ولا يعاد، ما كان بيننا يبكي فقط.

لم تراسلني في الوقت الذي نساني فيه الجميع ولم تحبني في اللحظة التي كرهت فيها نفسي، حتى حين فكرت في الابتعاد وجعلت من العزلة صديقا، لم تكن ملاذي؟؟

كنت على استعداد لأواجه كل العالم بك أنت وحدك كل العالم بسواده ووحشيته، كنت أعيش إيمانا بك، كنت أراك الوجه الحقيقي الوحيد، وجه الملاك في هذه الحياة.

لكنني ارتكبت أكبر خطأ في حياتي حيث اعتقدت بأنك ستمنح لي نفس الحب الذي منحتك إياه!!

العنصرية

لقد كثر الكلام عن تلك الأفعال الشنيعة التي ارتكبت في حق أناس بريئين وجدوا أنفسهم أمام تلك الأجساد المجردة من العقول.

.فما كان ذنبهم؟؟

ما كانت جريمة أولئك الناس الذين فرقوهم عن المجتمع وأهانوهم، تحت قانون ابتكرته تلك الفئة التي تحب إثبات نفسها بإسقاط كل إخفاقاتها على حساب آخرين و هو قانون العنصرية.

فالشخص العنصري ليس سوى فاشل أراد اكتشاف كينونته الداخلية متجاوزا كل البشر، فجعل تلك الفروقات مذهبا يقدسه في حياته اليومية ليكون أعلى مرتبة.

فالعنصرية مجرد لفظ للتفرقة بين البشر حسب الأصول، اللغة، اللون و الدين...

كما أنها اعتقاد بوجود فروقات بطبائع الناس وقدراتهم، فهي مجرد تبريرات باطلة في التمييز.

فالناس الذين طبقوا عليهم هذا القانون، هم أناس لهم قدرة ذكاء وبصيرة جعلتا لهم مكانات في المجتمع، لذلك أرادوا

طمس مواهبهم أو قدراتهم الهائلة بتلك الفروقات التي طبقها أولئك الجاهلون الذين أرادوا بلوغ القمم دون كلل وتعب.

فالعنصرية ليست سببًا يدفعنا للهزيمة وأن نكتسي وشاح الفشل ونتخلى عن ذاتنا ونجعلها متصدعة، لأننا جميعا متشابهون تحت الجلد.

مشاعر جياشة

لقد نفدت مياه أعينِ بعدما فاضت بما تحتويه من دموع.

دموعٌ جسدت تلك الأحداث التي مرّ بها هذا الجسد الذي يكاد أن يصبح جثة هامدة لما عاشه من وقائع مريرة.

.دموع!!

أو بالأحرى تلك المشاعر التي لم يعبر عنها صاحبها ففاضت أمطار دموع بعدما كان هادئا كسماء صافيةٍ.

اتخذت تلك الدموع مجراها بعدما تجرع القلب وشرب من بئر الحزن الكبير، فخيبات أمل أطفأت ذلك الجسد بعدما كان يجسد منبرًا للبهجة والسرورِ.

تراه يحادث الجميع ويبتسم!!

يعطي الطمأنينة للعابرين وهو متزن!!

لكن روحه متعبة ونظراته شاردة وندوبه غائرة، بعدما تسلل إليه الحزن واليأس وعاش تلك الأحداث التي جعلت منه شخصا شامخا بعد كل الاضطرابات التي مسّت كل حياته، فمجرد ذكراها يثير الفزع.

فالدموع حين تسقط وصاحبها صامت لا يبدي ردة فعل بكلام وتفسيرات، فهي سقطت من شدة القهر والاحتياج احتياج لأرواح راقية تحترم الآخرين، تتحدث بعمق وتفهم تلك المشاعر المختبئة التي لم تجد من يفهمها بطريقة

صحيحة، فنصف ما نريد قوله موجود في تلك الدموع التي انسابت على وجنتين كانتا تبتسمان فقط.

فتلك القطرات تعبير عن ذلك القلب الذي لم يستطيع التحمل، هن بدايات لربيع مزهرٍ لحامل ذلك القلب.

طمس الطفولة

طفولة هي سلبت منها تسميتها، رموها إلى القمع والاغتصاب، دفعوها لذئاب بشرية علمتهم مهنة الآفات والمحظورات، حبسوها في سجن العذاب النفسي، لتتعالج من آثار الشراسة والاعتداء.

كانت الطفولة بالأمس أما اليوم من معناها جردوها تحت حاجز الصمت قضيتها أقفلوها، تركوها للزمن ليداوي جروحها.

عذبها وحوش تجردوا من إنسانيتهم، فتم اتهامها بقلة الوعي ولم ينصفوها حين لجأت إليهم لينصروها، لما اشتكت إليهم دموعها مسحوها حتى لا تسبب العار لمجتمع يهتم بالصور المزيفة عنهم.

طفولة اليوم هي، تترجى ليتبنوا قضيتها لتصير قدوة المستقبل وإطاراته العليا، فاليوم هجروها وتركوها جثة هامدة وهي تصارع الحياة من أجل تحرير نفسها ونيل حقها الذي سلب من طرف أناس ظالمين.

منهارة هي من قرارات لم تنصفها في حقها المسلوب فصارت الطفولة سببا في سيل الحبر ليجعلوا منها قصصا ستروى من طرف أشخاص تصنعوا الإنسانية والعدل.

الطفولة أنقى من قطرات المطر لكنهم لوثوها بأفعالهم المشمئزة حتى نفوسهم تبرأت من تفكيرهم الذي يدل على انحطاطهم وعداوة نيتهم اتجاه البراءة.

أنا أقوى من السرطان

نفدت كل قوى العالم ولم تنفد قوتي لمواجهة عدوٍ حتى أسلحة العالم انبهرت من صموده في الميدان، وحصده لأرواح ملايين الأشخاص الذين ظنوا أن الأمل يؤذيهم فتوقفوا عن متابعة مجراه وظلوا ساكنين على ضفاف الهزيمة.

.من قال لا أستطيع التصدي لذلك المرض الخبيث؟؟

.من قال أنا عاجز؟؟

أنا أقوى مما تتصورون، لن تلمحوا بعيني تلك النظرات التي توحي بالوداع ودرب النهاية.

.نعم!! أنا البراءة المغدورة بمرض خبيث مأسورة الجسد الذي يُنهش ببطء، دواء كيماوي صار غذائي حتى جعبة ابتساماتي تكاد تنفد لكن قررت التحمل لأجل والديّ وأحبائي لأعود لساحة كلها ألعاب، مؤمنا بغدٍ أفضل يشجعني لأكتب حكايتي بأمل، وسأرويها لأناس فقدوا العزيمة والإصرار لمواجهة تلك التحديات التي أوقفتهم عن التقدم إلى الأمام.

.أنا الإيمان المنبثق من رجفة خوفٍ ولحظة ضعفٍ، أنا البسمة التي شقت خلف كل دمعةٍ ذرفت بعد علاج أثقل كاهلي وأوجع جسدي الصغير، أنا صبر الرواسي الشامخات.

.يا من تراني لا تحزن من أجلي!

أنا لا أستسلم لمرضي، سأجعل من نفسي برعما يكبر ليصير شجرة عملاقة تورف الناس بظلالها، رغم نزوله تحت الركام لكنه صمد.

لذلك لا تشفقوا عليّ بل ساندوني في الكفاح.

بيت الجنات

جنةٌ هي تحت أقدام أمهاتنا ونعيمها هو بِرّ آبائنا.

لن يتمتع بها سوى شخص بّار بوالديه جعل حياته ووقته تقديسًا لأمٍ حملته تسعة أشهرٍ فأنجبت، سهرت وربت حتى يصير شابًا، ووضع كل قوته ليخدم أبًا ضحى بشبابه وجعل تربية ابنه عاتقا على نفسه حيث نفدت قوته وهو يشتغل ليلا نهارًا.

لكن هناك أبناء قلوبهم تحجرت وأصبحت قاسية لدرجة أنهم لم يؤمنوا بأن الوالدين جنة، فانجروا وراء الدنيا الفانية وقصصها التي لا تنتهي فرموا بآبائهم في تلك الدار المسماة دار العجزة.

أصبحت تلك الدار أكثر الديار حملا لحكايات فاقت التوقعات، أمهات وآباء يحكون عمن ألقى بهم ويرثون الزمن الذي استطاع فيه ابنٌ التخلي عن الجنة ونسى الآخرة.

فكم من أمٍ وأبٍ فارقوا الحياة وهم بعيدون عن فلذات أكبادهم، تمنوا أن يتم دفنهم بين أبنائهم الذين تجردوا من كيانهم وإنسانيتهم لكن شاءت الأقدار أن يكونوا عائلة جديدة لم يجمعهم بها الدم بل جمعتهم الحياة والعاطفة.

هم تخلوا وسيأتي دورهم للتخلي عنهم فالحياة لعبة اليوم ربح وغدا خسارة، و لكن الخاسرين هم من لم يعرفوا اللعب.

ساحر أزرق

ذلك الساحر بجماله الذي كلما اقتربت منه، يزعزع كياني ويضطرب مشاعري فيجعلني دمية تتراقص تبعا لحركات موجاته الهوجاء ليزيدني فخرًا كوني بِّت جزءًا منه فهو يتلمس وجهي بتعرجاته فأغصُّ في خباياه اللامتناهية لتغمرني بالسعادة وتسكتُ أوجاعي، تضمد جروحي، تطفئ حزني.

أشعر بغيرة شديدة عندما تقبله الشمس عند وداعها فهو ملك لنفسي الأنانية في عشقه.

فرائحته تغذي روحي وتبعث فيها تلك الطاقة التي لا أكتسبها إلا منه وحده، فهو مؤنسي الوحيد في وحشتي والمرفه عني في يأسي، هو الذي يدفعني للتقدم رغم تعثراتي الكثيرة فهو قنديلُ أملي، وشمعة تضيء ظُلماتي، فلولاه لكنت بين ضحايا اكتئاب.

حتى في نومي أسمعه ينادي عليَ، فأسكتُ حنيني وشوقي له باستحضار صورته التي لا تغادرني أبدًا فهو ظلي الذي لا يتخلى عني حتى لو أردت أنا الابتعاد عنه، فاستنشاقه أصبح إدمانًا لديَّ.

.كيف لي ألا أعشقه؟؟

.كيف لي أن أهجره؟؟

هو ذلك العاشق الذي أسرني بكل ما لديه، فهو يملك صفات تفّرد بها وحده وجعلني تلك الأسيرة التي لا تطلب الحرية، ولا تريد أن تخرج من ذلك السجن.

فبعدي عنه يجعلني أستحضر تلك الأيام التي جمعتنا مع بعضنا، وأتذكر تلك الليالي التي كنت أذهب فيها إليه ممتلئة بالكدر، وأعود خالية الوفاض، فهو مُذهِبُ أحزاني التي لا أتخلص منها إلا بوجوده.

أنا تلك العاشقة لحبيب احتضنني كأمٍ، استمع لأحاديثي المملة التي جعلتني أشعر أنني وحيدة في عالمٍ لم يهتم بي فهو رفيقي وحبيبي الوحيد.

الغراب

أصبحت كطيرٍ يحوم حول فريسته لينقض عليها، لأنني لا أعرف من مفهوم الحياة سوى الثأر.

جعلوا من طفولتي قصة يفزع منها آخرون، عشت بين تلك الغابات المخيفة حتى أكتسب منها الشجاعة والقوة عايشت الظلال وملوكها، فهم أرادوا تحطيمي لكنهم جعلوا مني فارسًا لا يهاب أي شيء.

شردوا عائلتي وأبعدونا عن بعضنا بحجة الثأر، حتى سننا لم يشفع لنا، لأنهم وحوش جردوا من ضميرهم.

صار السواد سيدي، لأنه صار مؤنسي في تلك الليالي الحالكة الممطرة، لطخوني بدماء الغلِ والثأر، قضوا على كل تلك الأحلام المسطرة بتدميرهم لعشنا العائلي.

.أنا لست من قتل فلذة كبدهم!

. أنا ما ذنبي إذا الموت اختارته هو وجعلتني شاهدًا على دقيقة مفارقته للحياة، وذاكرًا لنبله وتضحيته بنفسِه من أجلي أنا.

كان لي أخًا يسندني كلما أردت الوقوع، لكنهم جعلوا من صفاته عبئًا على طفلٍ لم يعرف حتى معنى الحياة.

لم يدروا أنهم بحقدهم وكراهيتهم قد أنهكوا روحًا بريئة ودفعوها لتصير ظلًا من ظلال الموت، روح لم ترد الفراق فهم

قتلوا نفسي التي كانت تشتهي العيش بسلامٍ مع ألعابٍ تنزع الضجر والوحدة، وأحيوا نفسًا أصبح الموت يخافها لأن مماتها أو حياتها أصبح لا يفرق معها فهي لا تملك شيئا تحزن عليه، فهي مجرد جثة نسوا دفنها يوم مفارقتها لصديق عمرها.

هي صديقتي

جعلوني أكتفي من الخيبات، فدفعوني للظنِ بها لأعتبرها كالذين عبروا في حياتي يرددون الخواطر وعبارات الوفاء لأجلي، ثم يذهبون تاركينني وراءهم أعيش بذكرهم لكن هي لم تذهب فرمّمت الندوب التي تركها الأولون وداوت جروحي، وأخرجت مني شخصًا آخر لم يكن يشبهني في الحزن والتعاسة، بل شخصًا واثقًا من نفسه.

حين ظن الجميع أنني بلا أصدقاء، فكانت هي منبعًا لحياة إيجابية في قلبي، لقد أحيت في داخلي الشعور بالأمان والطمأنينة، جعلتني شخصا طموحا مسؤولًا.

كانت في أوقات الحاجة سندًا وملجأ، هي التي وقفت معي حين بكيت خفيةً عمن حولي، هي الوحيدة التي تعلم أنني لست ذلك الشخص السيء رغم ارتكابي للأخطاء.

هي التي لا تتعب من الاستماع إلى كل الهراء الذي أتفوه به، تحملتني وتصرفاتي الدراماتيكية، تحملت تغيراتي الفصلية التي ليس واجبا عليها تحملها.

فجعلتني أوقن أن الودّ والطيبة لا يقاسان بطول السنين وإنما يقاسان بالمواقف التي أظهرت كينونتك.

فلم يكن التقائي بها صدفة، فهي توأم روحي وقارئة أفكاري، فصداقتنا لم تكن مبنية على أسسٍ ومعايير تتلاشى مع الوقت، لقد كانت مبنية على الثقة والترابط.

لقد أظهرنا بأن الصداقة لا تكون بالحديث الدائم والوجود مع بعضنا في نفس المكان، بل بالترابط الروحي الذي تربطنا به الأيام.

وحدتي!!

أمشي على ضفاف البحر محدثة وحدتي:

.ألم تملي مني؟؟

وددت أن أهجرك وأبتعد عنك، لأنني تعبت من البقاء معك.

عشت وحيدة بما فيه الكفاية، مصادقة الأشباح والخراب فأنا لا أسمع سوى صوت الصمت والهجران في ليالٍ باردة شتوية، لأن رياح تلك الليالي هبت وأخذت كل ما هو مزيفٍ وجرته بعيدًا عني.

من كثرة الخذلان الذي أثبت أنه معلم ناجح كونه استطاع إقناعي أن قفار الوحدة أكثر أمانًا من قصور الواقع، لذلك الوحدة ليست خطيئة، هي أسمى من الناس الذين عايشونا بوجهين، فجعلوني أعجز عن البوح بمشاعري وما يؤذيني.

لقد صارت روحي تحلق في الفضاء لقلة محادثتي مع البشر، تشتاق أن تعانق ضوء القمر وأن تتمايل أمام نجوم السماء لتبهر جمالها وندرتها لأنها استطاعت في وحدتها أن تجعل من نفسها ذلك الكنز الثمين.

.متى ستنفك عقدة وحدتي؟؟

رغم يقيني أن النهاية ستكون بشعة، لأن الوحدة لن تستطيع التنازل عن روحي التي ملكتها وأوصدتها وأصبحت تتحكم فيها فهي رفضت الجميع لتأسرني.

لقد جعلتني أشعر بلعنتها وكم هي أشّد!

أشّد من حد السيف وعطر الورد، فلعنتها غيرت تلك الذكريات الجميلة الباقية إلى سديم وشجون.

فقد هيمنت الوحدة على روحي وغزى صوت العويل على جسدي ليفتح للحزن معبرًا للولوج داخلي.

طيف أبي

رفعت قلمي وبدأت أخط به ودموعي شلالٌ ينهمر على وجنتين لا تعرفان سوى الابتسامة.

أكتب لشخص لم أود فراقه والابتعاد عنه، أول شخصٍ أحبني اختار لي اسمي وأعطاني اسمه الذي بقي بعد موته يذكرني به.

أبي!! اسمك يوقظ في نفسي تلك الطفلة المليئة بروح اللعب والفرح، فأنا عرفت الدلال والسعادة معك.

فراقك جعل جناحي ينكسر من شدة العواصف التي هبت من بعدك حين احتجتك ولم أجدك أمامي، لم أجدك كي أسند عليك جسدي الذي أنهِك.

أبتي!! مناداتك تثلِج روحي وتسكِت حزني، اخترت الرحيل وتركتني أصارع مع طيفك الذي لازمني وأيقظني عندما كنت أحتضر لأكمل مسيرتك التي كانت وما زال الجميع يحتذون بها ويتغنون.

أبي!! أنت ملك على عرش الأبوة أسطورة لبيتنا، تطيب بذكراك المجالس وبرؤيتك ترتسم البهجة على الوجوه، أنت الحضن الحنون لنا ودرع الأمان، صوتك طوق للنجاة.

هو أبي كشجرةٍ صارعت الحياة فأقسمت أن تصمد أمام الفناء، ليس طمعًا في الحياة بل حبا للأغصان.

لقد شاءت الأقدار أن تتسلل روحه الطاهرة بعيدًا عنا في ليلة سوداء لنصبح بدون أب.

كان أبي ولا زال قدوتي، هو حبيبي وحاميّ حتى الفناء.

سمُ الخيانة

لن تفيض قبل أن تمتلئ وليس بإمكانك أن تمنح الحب للآخرين ما دمت لا تحب ذاتك.

.أي ضمير تملك يا هذا!!

لقد خربت جميع العلاقات بسذاجتك وغرورك، تركتني ومعاناتي القاسية وأنت أكملت حياتك ببساطة متناسيًا كلَ ما بيننا.

مللت من تبريراتك الكاذبة التي كنت أصدقها وأتغاضى عن بعضها أحيانًا لكوني أحبك، لكن كل هذا لم يشفع لي وجعلتني أتوج بخيانتك، والآن ترجو مغفرتي!!

حقًا إنه أمر غريب يثير العجب داخل نفسي، لأنني أعدت الذي كان بيننا وتمعنت فيه حتى أرى إذا كنت تستحق الغفران، وأرى هل يمكن أن تعود علاقاتنا كما كانت، لكن خناجر الذكريات جعلت حتى فكرة أن نبقى غرباء لا تروقني، فوجودك يثير القلق داخلي وينزع الراحة من مخيلتي التي لا تريد مسح خيانتك.

جعلت الأمور بيننا أكثر تعقيدًا، لأنك رسمت طريق النهاية وحدك وأنت ستتحمل نتيجته، فأنا لا يسعني إلا الندم على لقائي المشؤوم بك.

فلا ترجو مني الغفران والعودة، فما كسر لن يصلح نفسه ومن قتِل لن يعاود الرجوع للحياة فهذه هي علاقتنا المزعومة.

العمر انخدع مرةً ولن يعاود الكرة فاشهد أيها الخائن!!

سألوني!!

.سألوني!!

.سألوني فقالوا: كيف حالك؟

أنا بخير لكن خيبات الأمل أطفأتني. .طلبوا مني العودة:

وكيف لي أن أعود وقد تركوا بصماتهم التي دفعتني للتألم طول اليوم. .سألوني كيف أصبحت بعد الفراق:

فأجبتهم وقلبي كله متحسرٌ، هل للرماد إحساسٌ بعد الاحتراق.

فقد شاءت الظروف أن يموت بعض الأشخاص من عيني وهم على قيد الحياة، لأنهم غيروا تلك الطفلة التي كانت لا تهوى سوى اللعب ولا تتقن إلا فن السعادة، إلى فتاة أصبحت للحزن أسيرةً وللهمِ خليلةً.

تغيرت أكيد، بعدما صرت مدينةً للخيبات، وصار الصمت ملكًا فيها، فعدم كلامي علامة على الضعف، علامة الإحباط الذي لا ينفع معه شيء سوى الاكتئاب والعزلة وأحيانًا يدل على الصدمة التي قتلت الأشياء بداخلي.

سكوتي هو نهاية لأحداثٍ لن يكررها الواقع، ولن يعيدها الزمن.

فكثرة تساؤلاتهم عن سبب تغيري، دفعتني لأتساءل:

هل أنا بهذا القبح لدرجة الوحدة التي جعلت مني شخصًا غامضًا أعيش بكل آلام الناس.

لست سيئة ليصيبني كل هذا.

توأم الروح

اليد اليمنى هي جزء لا يتجزأ من الجسم لكنها تدعمه حين يضعف ويتداعى، لا تتركه يحتاج لشخص يسانده لكنها إذا كسرت يصبح محتاجًا، هكذا هي أختي تماما.

أختي التي حولت أحزاني سرورا وبهجة، آمنت بي حينما اعترى الآخرين الشك تجاهي، جعلت من خساراتي قوةً وطموحًا لمجابهة الحياة وعقباتها.

أختاه هي تلك الشخصية التي امتزجت روحها بالحنان والرقة، حتى تجعل كل من يحوم حولها يذوق عسل طيبتها التي شملت الجميع.

أحاطتني بحبها حين فقدت طعم الحياة ولون الأيام وغمرتني بالسعادة حينما خزنت جميع الآلام والمآسي داخلي، لم تتركني لحظة ضعفي حينما قررت مغادرة الحياة ومسحت دموعي حينما أجهشت بالبكاء كطفلٍ رضيع بذلك البكاء المرير من أعماقي.

سندتني حين سكنني ذلك الإحساس المحزن جدًا فشعرت أنني وحيدة وأحتاج للآخرين كأغصان الخريف.

أختي التي مثلت أدوارًا عديدة لأناس اشتقت لوجودهم وأصواتهم بالجنونٍ ذاته، وزرت أطلالهم في الخفاء.

كانت ملجئي حين غادرت كالغريب عن أشخاصٍ التصقوا بي وكانوا لي كالوطن الجميل، فهي أختي.

وجهان

سقوط المطر أجمل بداية في حياتنا، لأنه أزاح تلك الأقنعة المزيفة عن حياتنا، تلك التي غمرناها بحبنا وطعنتنا في أظهرنا عندما أتيحت لها أول فرصة.

لقد خضنا تجارب جعلتنا ضعفاء في مشوار طريقنا الذي لم نجده سهلًا بل كان مليئا بالعقبات التي وضعها أناسٌ كانوا جزءًا من حياتنا، فقد عشنا الجرح وتألمنا بسببهم لكن الأهم، أننا اكتشفنا أن تلك المحطات السيئة أكسبتنا قوة وأثبتت أننا أشخاصٌ صامدون.

لقد ظهروا بوجهين فكانت حقيقتهم مزيفة أمامنا، ظننا أنهم مثل وجوهِهم التي اصطنعت البراءة عليها لتخدع كل من يراها، لقد أخفوا ملامحهم الشيطانية التي توحي للناظر بمدى خبثهم بملامح طفولية جميلة براقة بذلك النور الأخاذ الذي يدهش الناظر وتخدعه.

ظننت أن الأبواب قد أغلقت في وجهي لأن كل شيء أصبح ظلامًا، وتحولت روحي إلى ذلك الجذع الذي سقط في ليلة عاصفة لأنه لم يتحملها، فجعل الاستسلام وسيلةً لبلوغ الراحة والاطمئنان.

لكن الأهم من السقوط أنه بعث فينا الحياة من جديد كأنني أصبحت تلك الرضيعة التي ستعيش تجارب من الأول وتخوض تحديات تعرف أنها ستخرج منتصرة لأنها صارعت الأقوى ولم تسمح للهزيمة بأن تتملكها.

عايشنا تلك الوجوه الخبيثة التي أذاقتنا كل شيء ودخلنا في متاهات كنا وما زلنا نحمد الله لأننا خرجنا منها وعرفنا مخارجها في الوقتٍ الذي أذاعوا به خبر هزيمتنا لكن المفاجأة كانت حين رفعنا راية النصر الذي أكدت أننا أسطورة عظيمة بُهِت العالم بها لصمودها.

بلوغ السعادة

أُلِفت قصص ونثرت حكايات كان أبطالها منبعًا للتعاسة والحرمان، لكنهم تغلبوا عليها وأظهروها في حلقات ولو كانت قصيرة وختموها بنهايةٍ سعيدة تُدمع العين من الفرح.

حياتنا هي كذلك، فهي ليست كاملة لتخلو منها المشاكل والعقبات، لكننا لن نسجن السعادة لتصير ضحية الحزن الذي خيم علينا، بل سنتعامل مع تلك المشاكل بينبوعٍ من الحكمة والصبر لتغيير الأحداث إلى مصدرٍ للإيجاب ومَنحِ القوة لكل من يطرق باب صداقتنا.

السعادة تنبع من صميم الروح، فهي تنتشلنا من الغرق في جوف الاكتئاب واللهثِ وراء تحقيق تلك الأهداف والتطلعات، فسعادتنا تحتاج لمرحلة البحث عن مميزات أنفسنا وإبعادها عن مجتمعٍ لا يعرف سوى المظهر.

فقاعاتنا جميلة حين نكتشف ماذا نريد أن نبني، لنضع حجر الأساس للشروع في بناء ذاتنا، بعدما نهدم الكبت الذي أحاطنا وتغلغل داخلنا ليأسرنا.

في الحياة نوافذ يجب أن تُفتح ليمر أمل إلى النفوس المنهكة ليزودها بهرمون السعادة لتكون الأيام أكثر جمالًا ونحيط ذاتنا بأسعد اللحظات حتى نعطي من يسألنا الفرح والسعادة.

يجب أن نخلق فقاعتنا الشخصية ولا ندع أيّ شيء سيئ يدخلها، لأننا نستحق أن نكون سعداء.

فهرس المحتويات

الشكر و العرفان..... 05
مقدمة..... 07
دروس في العزف..... 09
تملكنا اليأس..... 11
أعتذر لك.....13
رحيلهم عنا..... 15
فقرا أثقل كاهلنا..... 17
نبذوني..... 19
قوارب الموت..... 21
غرباء..... 23
لا تلمني على عتابي لك..... 25
العنصرية..... 27
مشاعر جياشة..... 29
طمس الطفولة..... 31
أنا أقوى من السرطان..... 33
بيت الجنات..... 35
ساحر أزرق..... 37
الغراب..... 39
هي صديقتي..... 41

وحدتي..... 43
طيف أبي..... 45
سم الخيانة..... 47
سألوني.....49
توأم الروح..... 51
وجهان..... 53
بلوغ السعادة..... 55